■ قصة بقلم : محمود الخطيب ■

مواهب كثيرة لمسيلمة الكذاب

دار مسيلمة في ارض الطراد دورتين وتوقف بعد ان ساوره الشك وهو يتلمى صوة الجواد في ان التكاسة ما افسدت عليه لذة الشوط.. وبدا يتربه الخوف عندما شعر ان الجواد الذي يعتليه ما تعود ان يقرع الارض بهذه الشراسة، ولا الحوافر تعودت ان تحدث مثل هذا الضجيج، ولا ارض الطراد علساء وصلبة .

نظر تحته فاخذه العجب :

قار بدل الرمال ؟!. ليست هذه ساحة للحرب !. اين انت يا مسيلمة ؟.

وبينما هو غارق في حيرته ، اغمد سيفه المثلوم في جرابه ، وراح يترنح من شدة التعب. لكنه رغم الاعياء ، ظل معلقا بلحظة الانتظار في عالم ارتعاشه المهزوم . اغمض عينيه الذابلتين كمن يغيب في حلم ، فلم يصدق نفسه :

ايكون هذا الزمان هو زمان قريش ؟!.

صمت فكاد يخاطره النوم ..

وراح سراب شجاعته المخزون في الاوهام يتسرب من بين اصابعه تاركا وراءه دنياه الذليلة. ما كان يذكر ان الرمال ، عادة ، مطلية بالقار.. ولا صحراء مكة بمثل هذه الصحراء . وفي غمرة الفشل حاول ان يجد العزاء لنفسه ، غير انه تساءل :

اذا كانت الصحراء مطلية بالقار ، فمن اين لها اذن كل هذه المنازل ؟.. ابدو كانني قفزت من زمن الى اخر بعيد وموغل في الابدية ..

تربث واوغل في حيرته . وعندما لم يجدجوابا، استوى فوق جواده وتنهد :

بئيفت يا مسيلمة !.

سمع صوتا يقرعه من الوراء :

– افتح الطريق ؟.

فاهتز بعصبية ، واستدار بجواده يواجه الصوت . حسب انه في ارض القتال فاخذه الفزع وشهر سيفه :

– ايها الفارس !.

وعندما لم يجد جوادا ولا خيالا كاد يذوب في حيائه ، فقال :

– ايها الرجل .. اين الفرسان ؟.. واين اكون انا ؟.

تمهل الرجل وهو يحدق مليا الى وجه مسيلمة قارئا فيه خيانة العصر وخزيا ابديا ، فلم يجد لهمومه المنطقة من اعماقه نحو العينين الخبيثتين اي جدوى ، فبقي صارخا في عالم احزانه ، بينما كان السلاح الملقى على كتفه يلتمع تحت حرارة الشمس . تساءل مسيلمة بغرابة عندما لم يأخذ من الرجل غير النظرات الحائرة المتكسة بين حاجبيه :

– الا تعرفني ؟.

وغاب في ماضيه الفسيح فلم يجد غير حدقة سوداء يغمرها الدخان . طوال حياته لم يذق طعم البطولة . والحق ، لم يجلب له غير الخيانة والفشل . لماذا ؟. تساءل لماذا يكون حظ مسيلمة مختلفا عن بقية الفرسان ؟... وهل الحظ ، عادة ، صدى لما يعتمر في نفس الفارس من مشاعر البطولة والاحلام ؟. صحيح يا مسيلمة ؟. فكر قليلا وتاه في الجواب . ولم يعرف الى ماذا يجب ان ينتهي به المطاف . لكنه عندما سأل الرجل عن نفسه بدا له الصمت في الجهة المقابلة واقفا كالسيف فارتعش لقسوة اللحظة وعاد الى عالمه . كانت لحظة القوى منه فعجز عن مواجهتها ..

ثاب الى نفسه فجاة ، فكرر السؤال :

– الا تعرفني ؟.

كان الرجل واقفا كالظل ، يصلب على نفسه باستمرار ، وفي جسده مئات الخناجر المغروسة، تلتمع ناعمة مثل ثوب ناصع من الريش .. وفي حدقتيه سماء هائلة تنوء بغيوم من الدم تنتظر لحظة ان تهطل. ماذا يقول ؟. كان العذاب المخزون في دنياه اكبر حجما منه .

– بلى ..

وهوى من جديد في جحيم احزانه . كانه ما ولد الا لتلقي الطعنات . وكان العالم اصغر من ان يحتويه . فكر ان يكون هو وحده لقيط هذا العصر ؟. لكنه دفن افكاره كما اعتاد ان يدفن في قلبه انين الجراح . لا يجوز لمن على نمطه ان يخلق الاحلام ويمارس حقيقته كالاخرين.. سيعيش جريحا حتى النهاية طالما ظل يلقى في كل خطوة مسيلمة .. والله ، لو كان الامر بيده لقطع نفسه الى شظايا صغيرة واراح نفسه من العذاب .. فما هو طعم الحياة ان لم يجد الحياة ؟. لكنه بعد كل جولة من هذه الجولات ، كان يرتد على نفسه بقسوة ويقول :

– اذا فرض عليك ان تكون ، فيجب ان تظل واقفا ..

بقيت غيوم الدم تنوء كجبال معلقة من الملح.. والآمال الكبيرة متقوقعة داخل العواصف الصامتة في صدره . عندما نظر الى مسيلمة راى وراء عينيه خيانة مورولة فداهمه شيء من العزاء . غير انه لا يعرف ما جدوى ان يقول لنفسه شيئا .. والعزاء نفسه ، بوجهه المخادع، وفي اللحظات الكئيبة ، يبدو على قربه ، نائيا اكثر من يوم القيامة .. لماذا ؟.. لانه ، ببساطة يقول الرجل : لا يشفي الغليل !.

ولو رد على مسيلمة باكثر من « بلى » لزادت من الامه الكلمات. فبقي صامتا . غير انمسيلمة، المنهزم ابدا وراء بطولاته ، ظل يصر من خلال صمته الهلامي على ان يؤكد نفسه ، فبدت الكلمات الخائفة ، تتراقص بين شفتيه الرتعشتين لهنيهة ، حتى تجاسر :

– اذا ، اين انا ؟.

اخرج الرجل عن صمته ولم يعد يحتمل. كان معصورا كورقة ذابلة تقاذفتها الرياح في فراغ هائل :

– ما جدوى ان تعرف اين انت ؟.

وناءت الغيوم فناء قلبه معها . ولم يعد يرى من الشيح القائم امامه ، فوق صهوة الجواد ، غير بقايا زوبعة تدوب في نفسها ، كانت تتثاوب وراء الافق الهارب في الصحراء .

قال مسيلمة :

– ظننت انني في فلاة قريش . واذكر انني افقت ذات صباح ، وامتطيت جوادي وانطلقت اعفر رمال البيداء بحثا عن الفرسان . وها انا اجد نفسي هنا !. كيف ؟. ما تركت الغلاة ولا طرت بجناحين !.

– تاخرت اربعة عشر قرنا حتى واتاك سراب الشجاعة ، فبقيت تسوح على جوادك حتى تقرض شرجك ..

– ماذا ؟. ايها الرجل ، لربما خدعتني عيناي وابتلعني الحلم . ما عهدت في الصحراء ارضا صلبة من القار ولا بيوتا عالية كالتلال .. هل اكون في زمن غير زمني ؟.

حملق الرجل بعجب فيما كانت الكلمات تئن في اذنه كانها آتية من اعماق بئر . لقد سمع حتى تعب ولم يعد يصبر على قهر مسيلمة :

– انت في عمان .

عمان !. وارتجف مسيلمة ومادت الدنيا في عينيه واخذه الدوار . وحاول ان يثبت نفسه فوق الجواد فكاد يسقط . وفي زخم الضوضاء المزمجرة في راسه حاول ان يسترجع ماضيه الخيبث فبدا له حافلا ومرعبا . وكلما حاول التوغل فيه ، انهارت قواه ، وامتدت شواهد الاطفال ، رفيعة ، ممطوطة ، دامية ، كالظلال الى عينيه .. شواهد غرقت في الجراح، ورقاب طرية ذبحت ببساطة ذبح اسراب من الدجاج .

وكلما توغل اكثر اقتربت اليه الشواهد اكثر حتى كادت تفقده صوابه ..

اخذ يعي شيئا فشيئا جوانب مواهبه التي ما شهدت ابدا مثل ذلك الاحتفال .. عندما زغرد الفجر بالرصاص وانبلج النهار مخضبا بالدماء واعترى عمان صرير بربري زاحف من الصحراء. حينئذ اسرج جواده وامتشق سيفه المثلوم ودخل ارض الطراد . تذكر انه ما كان يتقن ، طوال عمره، كيف يمكن ان يخوض في المواقف البطولية. غير انه شعر ، في ذلك اليوم بالذات، ان الريح مواتية والميدان تحت قدميه . وكانت عيون الاطفال، على براءتها ، متفتحة ، باسمة مثل ازهار اللوز . والدماء الدافئة تحتفل بالايام لتصنع المستقبل . فخاض مسيلمة ليخلق من مواهبه المعجزات . قال :

– ما اسهل الحرب !.

وتراءت له خرائب عمان ، امتدادا فوضويا للخرائب القابعة وراء افق الصحراء . ففكر واستعاد وعيه :

يا للعار !. طوال الفترة كلها ، وانا اظن انني ما تركت صحراء قريش ، واذا بي ، فجاة ، بعد كل هذا الحلم ، في شوارع عمان !.

قال الرجل بتزق :

– افتح الطريق ؟.

لكن مسيلمة الذي انتفض بعصبية ، لزم جانب الحذر ، وشهر سيفه :

– لا .

سخر الرجل فسحب سلاحه وجعله يدوي في الهواء ، ثم مضى بعدما اجفل الحصان وسقط مسيلمة على القار وغاب في الهديان..

★

راى فيما يرى النائم ان الافق يعيد المنال رغم ان الصحراء تحت قدميه . وكانت خرائب قريش وراء الافق غارقة في الرمال . قال : بعيدة عليك يا مسيلمة !. وكلما ذهب بعيدا في شوقه تراءت الاطلال قابعة على نفس البعد . توقف مخذولا وتنهد : ايه !. من زمن لم تذق حلاوة الانتصار . كنت تشتهي ان تشهر السيف دون ان ترتعش ذراعك !. ولما حان الوقت ..

ربت وابتلع عاره :

ولما حان الوقت لم تجد احدا وطفت لتقارع الفراغ ..

مسح جبهته بساعده فعبر السيف امام عينيه. وعندما فعل ذلك مرة اخرى تملكه الخوف: ماذا لو استقر السيف بين العينين الزائغتين ؟. لم يستطع الاجابة على نفسه ، فسقط السؤال وتناساه ، ولم يرغب استعادته في الذاكرة . لحظة بعد اخرى ، متاهبا ، يقظا ، توافا الى لحظة النزال

لو قيل له : تمهل يا مسيلمة . لطيّر وزيره الكاذب دفعة واحدة ولوح بسيفه يطارد الذباب، ولجعل من هواجسه قلاعا تصد عنه المنايا .

كان واقفا وسط الصحراء ، طارحا خياله على الرمال بحجم حوافر الجواد ، والجواد ذاوي العنق ينوح به هاربا من ظل الشمس . وفي فرك البيداء ثارت زوبعة جنونية اخذت تكبر وتكبر حتى صارت بحجم سلسلة من تلال الغبار تنهب الارض باتجاه مسيلمة ، طاوية في داخلها خيال فارس ..

نظر مسيلمة مدهولا فكذب عينيه. ولاول وهلة، اعتقد ان ما يراه انما هو انعكاس لما يتفاعل في هواجسه . لكن اللحظات كانت اسرع من الافكار التي تدور في راسه . فاخذت تلال الغبار تتكاثر وتقترب حتى ملات الصحراء .

فرك عينيه بذراعه فتراقص السيف امامه .

قال : ليست هذه خدعة !. واطرق ليقرر، في زخم الاضطراب نظر الى الدراع فراعه ترتعش والسيف يكاد يفلت . لطمها بقسوة : يا عاهرة .. كلما جاء دورك خذلتني !.. وعاري بتراب كلما ازفت ساعة الرجولة .

ولم يقرر شيئا . رفع راسه وتابع النظر . وكان يحاول ان يلم فتات شجاعته فلم يفلح . بينما اخذ الفارس الذي يشق الرمال جامحا ، يقترب بسرعة ، ويكاد يناله . مرت في خاطره كل الافكار القديمة ومضت دون ان تترك اي اهمية، لكنه فجاة تذكر : ماذا لو استقر السيف بين العينين الزائغتين ؟. فانتفض واصابه الذعر:

لا .. كلب حي خير من اسد ميت ..

اغمد سيفه . واستدار الى الخلف ثم القى لجواده العنان ..

وفي غمرة الياس شعر بالمرارة تنهش احشاءه :

ما كنت فارسا يا مسيلمة ولن تكون . والزمن الآتي شبيه بالزمن الماضي الذي جعل له مرايا من كل الجوانب بحيث ترى نفسك دائما على مدى الاف القرون .

صرخ الفارس من الخلف فجاءه الصوت اشد من ضربة السيف :

– مسيلمة !.

لم يلتفت. وراح ينهر الجواد بقسوة، ولشدة ارتعاده شعر ان الصحراء تشده الى الوراء :

– مسيلمة !.. قف فانت آمن ..

قال مسيلمة :

– ما امنت نفسي الا بالفرار . وما انا

للفنان عبد عابدين – الارض المحتلة

لا شرار لا ترحم . هل يقف مسيلمة في لحظة يكون فيها معلقا بين الحياة والموت ، منتظرا ان يقرر مصيره شخص اخر . لا . طالما بقيت للجواد سيقان تجري بقيت انا ميمما شطر الهزيمة..

ام تريث فداهمه سؤال :

– ولماذا فشلت ؟.

اجاب :

– منذ لحظة تنبثق من مخيلتك الف موهبة جديدة .

دار الفارس الذي كان على بعد عشرات الاذرع منه يقترب حتى جنح عن يساره وتقدمه وراح يلوح له بالسيف امام عينيه :

– قف قبل ان اشطرك الى نصفين .

رفع مسيلمة .. وحاول ان يفلت من ضراوة الفارس الذي برغ فجاة وداهمه في الفلاة.. غير ان رمح الفارس الساطع كان اشد من وهج الشمس واخترق امانيه وغارت الدنيا في صدره وتقهقر الى الوراء ..

دار الفارس حوله في ارض الطراد دورتين راكضا . وانطلق صهيل الجواد يزلزل الارض ويثير الرمال . وبدت اللحظة الواقفة في مدار الزمن ، لمسيلمة ، هي لحظة النهاية . نظر فلم ير في الوت فتذكر : ماذا لو استقر السيف بين العينين الزائغتين ؟. فانتفض واصابه الذعر:

لا .. كلب حي خير من اسد ميت ..

اغمد سيفه . واستدار الى الخلف ثم القى لجواده العنان ..

وفي غمرة الياس شعر بالمرارة تنهش احشاءه :

ما كنت فارسا يا مسيلمة ولن تكون . والزمن الآتي شبيه بالزمن الماضي الذي جعل له مرايا من كل الجوانب بحيث ترى نفسك دائما على مدى الاف القرون .

صرخ الفارس من الخلف فجاءه الصوت اشد من ضربة السيف :

– مسيلمة !.

لم يلتفت. وراح ينهر الجواد بقسوة، ولشدة ارتعاده شعر ان الصحراء تشده الى الوراء :

– مسيلمة !.. قف فانت آمن ..

قال مسيلمة :

– ما امنت نفسي الا بالفرار . وما انا

① لحظات في الادب والفن لماوتسيتونغ

تنسم الاحاديث المعروضة هنا للقائد الصيني ، بطابع تحريضي . والسبب في ذلك يرجع الى الاطار التاريخي الذي طرحت فيه . حيث القيت هذه الاحاديث ابان احتدام النضال ضد الغزاة اليابانيين ، وعلى جمهور من الجنود والفلاحين يتمتع بثقافة متوسطة .

انه كما للبرجوازية ثقافتها وعاداتها وتقاليدها، فان للبروليتاريا ثقافتها وعاداتها وتقاليدها . والثقافة والعادات والتقاليد التي تسود بلدا ما هي ثقافة وعادات وتقاليد الطبقة الحاكمة .. الطبقة التي يبدها زمام السلطة السياسية .

ولذلك ، يتوجه على كل حركة ثورية تخوض الكفاح المسلح للاستيلاء في نهاية الامر على السلطة السياسية ان تهتم ، كما هي مهتمة بمحاربة عدوها في ميدان القتال ، بالجانب الثقافي في معركتها ضد ذلك العدو . ولتبيان اهمية هذا الميدان ، الميدان الثقافي ، يحسن بنا ان نعرض في هذا المجال افكار زعيم ماركسي لينيني عظيم في عصرنا الراهن ، افكار ماوتسيتونغ.

فالى جانب كون ماوتسيتونغ مفكرا كبيرا وعسكريا لامعا فانه وضع الاسس الراسخة لمفاهيم الثقافة الثورية وذلك في الوثيقة الماركسية – اللينينية « احاديث في ندوة الادب والفن بيانان » ، التي يتحتم على كل ثوري وبالاحرى كل ماركسي – لينيني ان يدرسها بعمق ، ويستوعبها باتقان ، ويستخلص منها الدروس التي تفيد امته وحركته الثورية في نضالاتها الثورية .

ولا تعود اهمية هذه الوثيقة الى كونها جهدا ماركسيا في تفسير الادب والفن فحسب ، بل والى كونها سلاحا جبارا ، اذا امتلكته الشعوب الثورية واستخدمته فانه يتحول الى قوة مادية جبارة تستطيع به ان توحد صفوفها وتقهر اعدادها .

ظهرت هذه الوثيقة في خضم النضال الثوري الذي كان يخوضه الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماوتسيتونغ ضد الغزاة اليابانيين ، في وقت كانت فيه الافكار الخاطئة وثقافات الاقطاع تسود الصين ، وفي الوقت الذي اخذت تنمو وتزدهر فيه افكار جديدة في الادب والفن تحت رعاية الحزب الشيوعي الصيني .

جبهات النضال

يقول ماوتسيتونغ ان هناك جبهات عديدة للنضال ، ويحصرها في جبهتين اثنتين هامتين ، لا غنى للواحدة منهما عن الاخرى هما « الجبهة الثقافية والجبهة العسكرية » . الا انه يولي الجبهة العسكرية الاهتمام الاول ، وانه يجب الاعتماد عليها بالدرجة الاولى . ولكن هذه الجبهة وحدها لا تكفي ، وانما هي بحاجة ايضا الى « جيش ثقافي ، وهو جيش لا غنى عنه مطلقا لتوحيد صفوفنا ولتهم اعدائنا » . فهذا الجيش الثقافي هو الاساس في توحيد افكار الشعب ، وتوحيد افكاره تؤدي حتما الى وحدة صفوفه ، ومن ثم يتمكن من القضاء على عدوه ، ويشدد ماوتسيتونغ على ذلك فيقول انه يجب « ان نجعل الادب والفن جزءا فعالا من جهازنا الثوري كله ، وسلاحا قويا به نوحد ونثقف شعبنا ، ليتمكن من محاربة العدو بقلب واحد وارادة واحدة » .

ولتحقيق ذلك ، هناك عدة مسائل ، تناولها ماوتسيتونغ ، ينبغي على المشتغلين بالادب والفن ان يحلوها ، وهي : مسالة الموقف ، مسالة الاتجاه ، مسالة الجمهور ، مسالة العمل ، مسالة الدراسة .

مسالة الموقف :

ما هو الموقف الذي ينبغي على المشتغل بالادب والفن ان يتخذه ؟ موقف البروليتاريا ام البرجوازية ؟ اي : موقف الغالبية العظمى من الجماهير ام موقف القلة ؟ يقول ماوتسيتونغ : « ان موقفنا هو موقف البروليتاريا وجماهير الشعب . وهذا يعني ان يتخذ اعضاء الحزب الشيوعي موقف الحزب ، وان يلتزموا بالروح الحزبية وبسياسة الحزب » .

مسالة الاتجاه :

وهذه ايضا مسالة هامة ، فالاتجاهات المحددة نحو الاشياء تنبع من الموقف . « فمثلا : هل نمدح ام نكشف ؟ وهذا ضمن الاتجاه . فاي اتجاه يجب ان نتخذه ؟ اقول : ان كلا الاتجاهين ضروري . ولكن جلية الامر هي ان نعرف من نمدح ومن نكشف » .

ويبين ماوتسيتونغ ان هناك ثلاثة انواع من الناس . ينبغي اتخاذ ثلاثة اتجاهات مختلفة تجاه تلك الانواع :

١ – الاعداء .

٢ – الحلفاء .

٣ – نحن .

والمطلوب منا .. ان نكشف قساوة وخداع اعدائنا ، وان نوضح حتمية هزيمتهم ، ونشجع الجيش والجماهير على قهر اعدائها .. ان نعمل على تدعيم الوحدة مع حلفائنا ، وتوجيه النقد لهم على ان نعمل على تدعيم الوحدة معهم وتوجيه النقد لهم باشكال مختلفة ومتعددة ، بمعنى ان نؤيد مقاومتهم لليابان ونثني على منجزاتهم ان كانت لهم منجزات ، واذا لم يباشروا المقاومة ينشاط نوجه اليهم النقد ، وعلينا ان نعارض بحزم كل من يعارض الحزب الشيوعي والشعب يتزلق يوما بعد يوم الى طريق الرجعية .. ان نمجد بالطبع جماهير الشعب ، نمجد جهودها ونضالاتها وجيشها وحزبها .

ولم ينظر ماوتسيتونغ الى جماهير الشعب من هذه الزاوية فقط ، بل اشار ايضا الى : « ان للشعب عيوبا ونقائص ايضا » وذلك مثل ايديولوجية البرجوازية الصغيرة في اذهان كثير من البروليتاريين ، والافكار المتخلفة الموجودة بين الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن ، وهذه يمكن حلها والتخلص منها عبر التثقيف المتواصل.

مسالة الجمهور :

من هو الجمهور الذي يجب ان نتوجه اليه ؟ ولمن ننتج اعمالنا الادبية الفنية ؟ ان هذا الجمهور جمهور الادب والفن، يتشكل من العمال والفلاحين والجنود . الامر الذي يدعونا الى ان نفهم التثقافي هو الاساس في توحيد افكار الشعب ، وتوحيد افكاره تؤدي حتما الى وحدة صفوفه ، ومن ثم يتمكن من القضاء على عدوه ، ويشدد ماوتسيتونغ على ذلك فيقول انه يجب « ان نجعل الادب والفن جزءا فعالا من جهازنا الثوري كله ، وسلاحا قويا به نوحد ونثقف شعبنا ، ليتمكن من محاربة العدو بقلب واحد وارادة واحدة » .

ولتحقيق ذلك ، هناك عدة مسائل ، تناولها ماوتسيتونغ ، ينبغي على المشتغلين بالادب والفن ان يحلوها ، وهي : مسالة الموقف ، مسالة الاتجاه ، مسالة الجمهور ، مسالة العمل ، مسالة الدراسة .

مسالة الموقف :

ما هو الموقف الذي ينبغي على المشتغل بالادب والفن ان يتخذه ؟ موقف البروليتاريا ام البرجوازية ؟ اي : موقف الغالبية العظمى من الجماهير ام موقف القلة ؟ يقول ماوتسيتونغ : « ان موقفنا هو موقف البروليتاريا وجماهير الشعب . وهذا يعني ان يتخذ اعضاء الحزب الشيوعي موقف الحزب ، وان يلتزموا بالروح الحزبية وبسياسة الحزب » .

مسالة الاتجاه :

وهذه ايضا مسالة هامة ، فالاتجاهات المحددة نحو الاشياء تنبع من الموقف . « فمثلا : هل نمدح ام نكشف ؟ وهذا ضمن الاتجاه . فاي اتجاه يجب ان نتخذه ؟ اقول : ان كلا الاتجاهين ضروري . ولكن جلية الامر هي ان نعرف من نمدح ومن نكشف » .

ويبين ماوتسيتونغ ان هناك ثلاثة انواع من الناس . ينبغي اتخاذ ثلاثة اتجاهات مختلفة تجاه تلك الانواع :

١ – الاعداء .

٢ – الحلفاء .

٣ – نحن .

والمطلوب منا .. ان نكشف قساوة وخداع اعدائنا ، وان نوضح حتمية هزيمتهم ، ونشجع الجيش والجماهير على قهر اعدائها .. ان نعمل على تدعيم الوحدة مع حلفائنا ، وتوجيه النقد لهم على ان نعمل على تدعيم الوحدة معهم وتوجيه النقد لهم باشكال مختلفة ومتعددة ، بمعنى ان نؤيد مقاومتهم لليابان ونثني على منجزاتهم ان كانت لهم منجزات ، واذا لم يباشروا المقاومة ينشاط نوجه اليهم النقد ، وعلينا ان نعارض بحزم كل من يعارض الحزب الشيوعي والشعب يتزلق يوما بعد يوم الى طريق الرجعية .. ان نمجد بالطبع جماهير الشعب ، نمجد جهودها ونضالاتها وجيشها وحزبها .

ولم ينظر ماوتسيتونغ الى جماهير الشعب من هذه الزاوية فقط ، بل اشار ايضا الى : « ان للشعب عيوبا ونقائص ايضا » وذلك مثل ايديولوجية البرجوازية الصغيرة في اذهان كثير من البروليتاريين ، والافكار المتخلفة الموجودة بين الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن ، وهذه يمكن حلها والتخلص منها عبر التثقيف المتواصل.

مسالة الجمهور :

من هو الجمهور الذي يجب ان نتوجه اليه ؟ ولمن ننتج اعمالنا الادبية الفنية ؟ ان هذا الجمهور جمهور الادب والفن، يتشكل من العمال والفلاحين والجنود . الامر الذي يدعونا الى ان نفهم التثقافي هو الاساس في توحيد افكار الشعب ، وتوحيد افكاره تؤدي حتما الى وحدة صفوفه ، ومن ثم يتمكن من القضاء على عدوه ، ويشدد ماوتسيتونغ على ذلك فيقول انه يجب « ان نجعل الادب والفن جزءا فعالا من جهازنا الثوري كله ، وسلاحا قويا به نوحد ونثقف شعبنا ، ليتمكن من محاربة العدو بقلب واحد وارادة واحدة » .

ولتحقيق ذلك ، هناك عدة مسائل ، تناولها ماوتسيتونغ ، ينبغي على المشتغلين بالادب والفن ان يحلوها ، وهي : مسالة الموقف ، مسالة الاتجاه ، مسالة الجمهور ، مسالة العمل ، مسالة الدراسة .

مسالة الموقف :

ما هو الموقف الذي ينبغي على المشتغل بالادب والفن ان يتخذه ؟ موقف البروليتاريا ام البرجوازية ؟ اي : موقف الغالبية العظمى من الجماهير ام موقف القلة ؟ يقول ماوتسيتونغ : « ان موقفنا هو موقف البروليتاريا وجماهير الشعب . وهذا يعني ان يتخذ اعضاء الحزب الشيوعي موقف الحزب ، وان يلتزموا بالروح الحزبية وبسياسة الحزب » .

مسالة الاتجاه :

وهذه ايضا مسالة هامة ، فالاتجاهات المحددة نحو الاشياء تنبع من الموقف . « فمثلا : هل نمدح ام نكشف ؟ وهذا ضمن الاتجاه . فاي اتجاه يجب ان نتخذه ؟ اقول : ان كلا الاتجاهين ضروري . ولكن جلية الامر هي ان نعرف من نمدح ومن نكشف » .

ويبين ماوتسيتونغ ان هناك ثلاثة انواع من الناس . ينبغي اتخاذ ثلاثة اتجاهات مختلفة تجاه تلك الانواع :

١ – الاعداء .

٢ – الحلفاء .

٣ – نحن .

والمطلوب منا .. ان نكشف قساوة وخداع اعدائنا ، وان نوضح حتمية هزيمتهم ، ونشجع الجيش والجماهير على قهر اعدائها .. ان نعمل على تدعيم الوحدة مع حلفائنا ، وتوجيه النقد لهم على ان نعمل على تدعيم الوحدة معهم وتوجيه النقد لهم باشكال مختلفة ومتعددة ، بمعنى ان نؤيد مقاومتهم لليابان ونثني على منجزاتهم ان كانت لهم منجزات ، واذا لم يباشروا المقاومة ينشاط نوجه اليهم النقد ، وعلينا ان نعارض بحزم كل من يعارض الحزب الشيوعي والشعب يتزلق يوما بعد يوم الى طريق الرجعية .. ان نمجد بالطبع جماهير الشعب ، نمجد جهودها ونضالاتها وجيشها وحزبها .

ولم ينظر ماوتسيتونغ الى جماهير الشعب من هذه الزاوية فقط ، بل اشار ايضا الى : « ان للشعب عيوبا ونقائص ايضا » وذلك مثل ايديولوجية البرجوازية الصغيرة في اذهان كثير من البروليتاريين ، والافكار المتخلفة الموجودة بين الفلاحين والبرجوازية الصغيرة في المدن ، وهذه يمكن حلها والتخلص منها عبر التثقيف المتواصل.

مسالة الجمهور :

من هو الجمهور الذي يجب ان نتوجه اليه ؟ ولمن ننتج اعمالنا الادبية الفنية ؟ ان هذا الجمهور جمهور الادب والفن، يتشكل من العمال والفلاحين والجنود . الامر الذي يدعونا الى ان نفهم الطبقة الاقطاعية ؟ من مستوى البرجوازية ؟ من اولى الواجبات – اما اذا حصل العكس ، اي اذا ابتعد المشتغلون بالادب والفن عن العمال والفلاحين والجنود ، فانهم يكونون غرباء عنهم ولا يعرفون لفتهم .. واذا اراد المشتغلون بالادب والفن ان تنصهر افكارهم ومشاعرهم بافكار ومشاعر العمال والفلاحين والجنود ، فعليهم ان يدرسوا لغة الشعب لا ان يتلذذوا فقط بكلمة « الشعبية » ، وعليهم ان يندمجوا فيهم ، وان يعقدوا العزم على ان يمروا بعملية صقل طويلة بل مؤلمة . وهنا يذكر ماوتسيتونغ حياته الشخصية مثالا على ذلك .

مسالة الدراسة :

دراسة الماركسية .. دراسة المجتمع . وليس هذا معناه اغفال دراسة الابداع الادبي والفني ، بل ذلك واجب .. ان الماركسية – اللينينية علم يجب على كل ثوري ان يدرسه .. كما يجب دراسة المجتمع ، اي البحث في مختلف الطبقات الاجتماعية والعلاقات بينها والاوضاع الخاصة بكل منها . فالذي يحدد افكارنا ومشاعرنا هو الوجود الاجتماعي ، اي الواقع الموضوعي : الصراع الطبقي .

يقول ماو ان المسالة تتلخص في مسالتين هما : خدمة الجماهير وكيفية اداء هذه الخدمة » وبدون ان تحل هاتان المسالتان حلا سائبا وسليما ، سيعجز المشتغلون بالادب والفن عن اداء مهمتهم ، بل سوف يصادفون سلسلة من المشاكل داخل صفوفهم وخارجها .

■ المسالة الاولى : « من يخدم ادبنا وفننا ؟ »

ان ادبنا وفننا يجب ان يوجها ، اولا وقبل كل شيء ، لخدمة العمال – الطبقة التي تقود الثورة ، وثانيا لخدمة الفلاحين اعظم الحلفاء في الثورة عددا واكثرهم رسوخا ، وثالثا لخدمة العمال والفلاحين المسلحين ، اي الجيش الثامن والرابع الجديد ، وغيرها من قوات الشعب المسلحة ، وهم يشكلون القوة الرئيسية للحرب الثورية ، ورابعا لخدمة من ينتمي الى البرجوازية الصغيرة في المدن من الجماهير الكادحة والمثقفين وهم حلفاؤنا في الثورة ايضا ..

واذا اردنا خدمة هؤلاء فلا بد ان نتخذ موقف البروليتاريا لا موقف البرجوازية الصغيرة . فالكتاب البرجوازيون المنشبثون بموقفهم البرجوازي الصغير الفردي لا يمكن ان يخدموا الجماهير الثورية من العمال والفلاحين والجنود . وان حل هذه المسالة لا يتاتى الا بتحويل الموقف الى جانب العمال والفلاحين والجنود ، الى جانب البروليتاريا وذلك « بالتغلغل في اوساطهم والمساهمة الفعالة في الكفاح العملي وفي مجرى دراسة الماركسية والمجتمع » . ويؤكد ماوتسيتونغ على هذه المسالة فيقول : « ان مسالة من يخدم ادبنا وفننا ، مسالة اساسية ومبدئية » .

■ المسالة الثانية : مسالة كيفية اداء هذه الخدمة :

وهي مسالة تبحث اين نركز الجهود : على رفع مستوى الادب والفن ام على تعميمها ؟ « من اي مستوى يبدا رفع الادب والفن ؟ من مستوى الطبقة الاقطاعية ؟ من مستوى البرجوازية ؟ من مستوى مثقفي البرجوازية الصغيرة ؟ » انه لا يبدا الا من مستوى العمال والفلاحين والجنود ، كما لا يجوز اطلاقا ان نرفع مستواهم الى مستوى الطبقة الاقطاعية والبرجوازية ومثقفي البرجوازية الصغيرة – وكذلك الحال بالنسبة الى الادب والفن ، فما دام الادب والفن في خدمة العمال والفلاحين والجنود ، ويجب ان يكون دوما في خدمتهم ، فلا بد ان ينشرا بينهم .